Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 35:2 (2000)

بسم الله الرحمن الرحيم

مدى فاعلية المثل القرآني في الدعوة ومجالاته فيها

محمد أمين حسن

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على البشير النذير حامل الرسالة ومبلغ الدعوة للعالمين بأقوم لسان وأفصح بيان.

وبعد:

فقد اختار الله بلاد العرب لتكون مهد الرسالة الأخيرة التي جاءت للبشرية جمعاء، وجعلها في أمة قادرة بسبب مكانها، وخصائص إنسانها على إبلاغها وحمل أمانتها؛ ورسم وسائل نجاحها في كتابه الكريم، وجعله "دستورا" لها، و"منبعا" لأحكامها، و" بيانا " لأساليبها

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

وطرقها من أجل الوصول بالنفوس البشرية عن طريق الهداية والدعـــوة إلى الإيمان.

وقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من أســـاليب الدعـــوة؛ فالقصة والمثال،والقسَم، والجـــدل والترغيب والترهيب، والتلميـــــح، ضمنها خصائص تجعلها وسيلة للدعوة توثر في المدعويـــــن وتجذبهـــم نحوها. وتنوع الأساليب ضرورة اقتضتها حكمـــة الخـــالق، لتنـــوع المدعوين واختلاف عناصرهم، فبعض الأساليب يخاطب العقل والآخر يخاطب العاطفة والوجدان والثالث يتّجه إلى محاورة الجدليين وإقناعهم. ولما كان لضرب الأمثال أثناء العظة أثر كبير في النفوس فهي تؤثـــر في العقول والقلوب فتثير داعية النظر عند المدعوين لأنها تشـــبيه الخفـــي بالجلي، والغائب بالشاهد ليقف الانسان على حقيقة الشيء. لذلـــك ارتأيت أن أكتب في مدى فاعلية المثل القرآني في الدعـــوة الإســـلامية فالأمثال من عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب ولهـــا روعـــة اذا برزت في أثناء الخطاب وهي نوع من العلم منفرد بنفسه لايقـــدر على التصرف فيها إلا من اجتهد في طلبه حـــتى أحكمـــه وبـــالغ في التماسه حتى أتقنه(١).

مركزا " على بيان ما فيه فائدة للدعاة من أجل اســـتغلاله في دعوتهم لإيصالها للناس جميعا" ليكون التأثير أقوى والنجاح أقرب وقـــد بحثت في المسائل التالية:

١-تعريف المثل وأهميته في الدعوة إلى الله.

٢-فوائد المثال القرآني بالنسبة للداعية وتنحصر في ما يلي:

أ- تمنح الداعية "قوة وحماسا" لدعوته و"تفاعلا" معها.

ب- تبصّر الداعية بالمدعوين وأصنافهم.

ج- تبصّر الداعية بدعوته – أسسها ومبادئها – والتي تتمثّل في ما يلي:

١- الإيمان بالله.

٣- الإيمان باليوم الآخر.

٤- الدعوة إلى الفضائل ومحاربة الرذائل.

٣- علاقة المثال القرآني بالدعوة وتنوع مجالاته فيها:

أ- في مجال الدعوة إلى الإيمان بالله والتحذير من الكفر، وبيان حال الكافرين ومصير أعمالهم.

ب- في مجال التحذير من النفاق، وبيان حال المنافقين.

ج- في مجال الترغيب بالصبر والثبات على الدعوة.

د- في مجال الحض على الإنفاق في سبيل الله، وبيان أجر المنفق والتحذير من الرياء فيه، وبيان حال وحال المرابي.

هـ -في مجال التحذير من المعاصي وبيان شؤمها وأثرها في زوال النعمة.

و- في بيان حال العالم الصالح والعالم الفاسد وأثرهما على المجتمع.

ز- في بيان حال الدنيا والتحذير من التكالب عليها والدعوة إلى الآخرة.

ج- في بيان الدعوة إلى التمسك بكتاب الله والتحذير من تركه والبعد عنه.

ح- مثال الحق والباطل.

ك- مثل الجنة التي وعد المتقون.

٤- الخاتمة

مفهوم المثل في اللغة والاصطلاح:

مفهوم المثل في اللغة: الشَبَه والشَّبيه:

جاء في مختار الصحاح:مثل:كلمة تسوية يقال:هذا (مثله) و(مثله) كما يقال شِبْهُه وشَبَهُه. ومَثَلُ الشيء أيضا" بفتحتين صفته(٢).

وقد جاء في القرآن ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾(٣). أي وصفها(٤).

وأما في الاصطلاح: (قول موجز قيل في مناسبة ما وأصبح يتمثل به للتعبير عن كل حالة تشبه المناسبة التي قيل فيها) (٥) .

ونقل الميداني صاحب كتاب **الأمثال** عن المبرد: أن المثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول مأخوذ من المثال، والأصل فيه التشبيه(٦) .

جاء في تفسير **المنار** في تعريفه قال: " وهو في الكلام أن يذكر لحال من الأحوال ما يناسبها ويشابهها ويُظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفيا".

ثم قال: ولما كان المراد به بيان الأحوال كان قصة وحكاية، واختير له لفظ الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال،

كأنّ ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا" ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهى إلى أعماق نفسه(٧) .

واذا كان الغرض من المثل التأثير فالبلاغة تقضي بأن تضرب الأمثال لما يراد تحقيره والتنفير عنه بحال الأشياء التي جرى العرف بتحقيرها واعتادت النفوس النفور منها، ومثل هذا لا يخفى على بليغ(٨) .

أهميته في الدعوة إلى الله:

للمثل في الدعوة مكانة هامة ووظيفة لا تنكر فائدتها، فله تأثير عجيب في الآذان وتقرير غريب لمعانيها في الأذهان وهو : موعظة حسنة تثير الانفعال، وتخاطب الوجدان، تغري على الخير، وتبعد عن الشر، الغاية منها تقريب البعيد وتوضيح الغامض حتى يصبح كالأمر المشاهد المحسوس قد بيّن القرآن أهمية المثل للناس فقال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٩).

وقال في آية أخرى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١٠). وقال في آية ثالثة: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (١١) .

فقد وضح الله للناس في هذا القرآن الأمثال النافعة والأخبار الواضحة التي يحتاجون إليها في حياتهم لعلهم يعتبرون ويتعظون بتلك الأمثال والزواجر.﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ أي وما يدركها ويفهمها إلا العالمون الراسخون الذين يعقلون عن الله عز وجل مراده. (١٢).

وقد بينت السنة أيضا" أهمية الأمثال:

أخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن القرآن نزل على خمسة أوجه، حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال" (١٣) .

وقد أشار العزّ بن عبد السلام رحمه الله تعالى إلى أهمية المثل فقال: " إنّما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا" ووعظا" فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب، أو على إحباط عمل، أو على مدح أو ذم أو نحوه فإنه يدل على الأحكام"(١٤) .

وأشار الماوردي: إلى أن من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثّلات، والمثل بلا ممثّل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام(١٥) .

وقد أشار بعض العلماء إلى جملة ما يستفاد من ضرب الأمثال فعدّ منها التذكير والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فالأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس وتشتمل الأمثال على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله قال تعالى ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ فامتن علينا بذلك لما تضمنته من الفوائد(١٦) .

وقد أشار النظّام إلى أن المثل يجتمع فيه أربعة أمور لا تجتمع في غيره من الكلام:

١-إيجاز اللفظ.

٢- إصابة المعنى.

٣- حسن التشبيه.

٤- جودة الكناية(١٧) .

أقول: ولو نظرنا إلى أي مثل من أمثال القرآن لوجدنا أن هذه الأمور الأربعة تجتمع فيه فمثلا " قوله تعالى:﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ (١٨) .

فالله عز وجل ضرب هذا المثل ليبين للناس أن قدرة الله هي القدرة وما عداها من قوة فهو هزيل، ولا اعتبار له، والذي يتعلق بقوة غير قدرة الله فهو كالعنكبوت التي تتعلق بخيوط بيتها وهو أضعف البيوت على الإطلاق. وقد اشتمل هذا المثل على الإيجاز، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية.

وأخيرا: أقول إن الذي يقرأ الأمثال القرآنية يجد أنها تخدم الدعوة في المجالات التالية:ـ

١-فهي تعتبر وسيلة لتقريب صورة الممثل له إلى ذهن المدعو عن طريق المثل.

٢- تعتبر وسيلة للاقناع، وقد يصل الاقناع بها إلى إقامة الحجة البرهانية وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة.

٣- يشتمل المثل على أسلوب الترغيب في الأشياء ببيان حسنها عن طريق تمثيلها بما هو محبوب للنفوس كما يشتمل على أسلوب الترهيب ببيان جوانب القبح في الأشياء وذلك بتمثيلها بما هو مكروه للنفوس، وكذلك جانب التعظيم والتحقير.

٤- يعتبر المثل وسيلة لإثارة محور الرغبة في فعل الشيء لدى المخاطب أو محور الحذر من الشيء.

٥- يعتبر وسيلة لشحذ ذهن المدعو،وتحريك طاقاته الفكرية أو استرضاء ذكائه لتوجيه عنايته حتى يتأمّل ويتفكّر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكّر(١٩).

الصور التي يأتي عليها المثل القرآني:

يأتي المثل القرآني على صور متعددة منها:

أ-يكون حقيقة فيطلق على نفس الشيء وذاته، مثاله قوله تعالى:﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ** ﴾ (٢٠) .

ب- وقد يكون فرضاً غير حقيقي فيأتي على صورة التشبيه، مثاله قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ (٢١) .

فشبه اليهود الذين لفوا علم التوراة والعمل بما فيها ثم لم يعملوا فكأنهم لم يحملوها بالحمار يحمل الكتب النافعة ولا يستفيد منها بشيء(٢٢) .

ج- وقد يأتي المثل القرآني على صورة الاستعارة ومثاله قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ (٢٣) .

يقول الرازي: وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا في الأمن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في إيذائه فعذبهم الله بالقحط والجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام (٢٤) .

وقد ظهرت الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿ **فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوْعِ وَالْخَوْفِ** ﴾ شبه ذلك اللباس من حيث الكراهية بالطعم المر البشع، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه هو الإذاقة على طريق الاستعارة المكنية (٢٥) .

وقد يأتي المثل القرآني على صورتين أخريين.

١- ظاهر مصرح به، مثاله قوله تعالى في شأن المنافقين:

﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُوْنَ** ﴾ (٢٦) .

٢- خفي لا ذكر للمثل فيه، ومثاله:

قوله تعالى: ﴿ **لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾ (٢٧).

فإنه يشير إلى مثل كامن فيه تعرفه العرب وهو قولهم(خير الأمور أوساطها).

فوائد المثال القرآني بالنسبة للداعية:

المثال القرآني ألطف وسيلة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء.

وهو أقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبيّ وقمع سورة الجامح الآبي. كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبرازها في معرض المحسوسات الجلية: فهو يكسو المعاني أبهة ويرفع من أقدارها ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها، فإذا كان مدحاً كان أبهى وأفخم في النفوس، وأعظم وأهزّ للعواطف، وإن كان ذماً كان مسّه أوجع وشرفه أجد وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه وأجدر بأن يجلى الغيابية، ويبصر بالغاية ويبرئ العليل ويشفي الغليل(٢٨).

وبما أن المثال وسيلة من وسائل الدعوة وقد ركز القرآن عليه فإني أسوق بعض الفوائد التي يستفيدها الداعية من الأمثال القرآنية:

١- المثال القرآني يمد الداعية بسلاح الصبر والتحمل ويعرفه بأن الابتلاء سنّة عامّة يتعرّض له كل من حمل الدعوة في الماضي والحاضر. وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ (٢٩).

فالآية تحتوي على مثل من شأنه أن يقوي عزيمة الدعاة المؤمنين ويدفعهم للتحمل والصبر فالنهاية لهم محقّقة فطريق الدعوة إيمان وجهاد، ومحنة وابتلاء، وصبر وثبات، وتوجّه إلى الله وحده ثم يجيء النصر ثم يجيء النعيم(٣٠) .

وهي تخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه، وتوجيههم إلى تجارب الجماعات المؤمنة السابقة، وإلى سنّته سبحانه وتعالى في تربية عباده المختارين لحمل الدعوة والمحافظة على منهج الله وشريعته وهو خطاب عام لكل من حمل الدعوة إلى الله في كل زمان ومكان.

٢- المثال القرآني يبصر الداعية بدعوته التي يحملها "أسسها ومبادئها التي تقوم عليها" والدعوة الإسلامية تقوم على:

أ- أساس الإيمان بالله.

ب- أساس الإيمان باليوم الآخر وما فيه.

جـ - أساس الفضائل والدعوة إلى مكارم الأخلاق.

واستمع إلى القرآن الكريم وهو يقرر هذه المبادئ والأسس في أمثلته القرآنية؛ قال تعالى في تقرير مبدأ التوحيد وإبطال مبدأ الشرك.

﴿ **يَآ أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوْا لَهُ إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوْا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوْا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنقِذُوْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوْبُ** ﴾ (٣١) .

اشتملت هذه الآية على مَثلٍ يبيّن ضعف الأصنام وسائر المعبودات من دون الله وعجزها. فالله يخاطب الناس جميعا ويضرب لهم

وضرب مثلا للكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر فشبهها بالشجرة الخبيثة التي استؤصلت من جذورها واقتلعت من الأرض لعدم ثباتها، وهذا ينفّر منها ويحرّض على منعها.

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ** ﴾ (٣٨) .

وقد اختلف العلماء في تفسير الكلمة في الآية ففسروا الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن، والكلمة الخبيثة بالشرك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق، ولعل المراد بهما، ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة تشمل ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح، والكلمة الخبيثة ماكان على خلاف ذلك فهي تشمل كلمة الإثم والفحش والبذاءة، والظلم، والعدوان والغيبة، والنميمة، والكذب والخداع، والكفر والفجور والغش، والمنكر(٣٩) .

يقول ابن الجوزي:

"شبه ما يكسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بثمرها المجتناة في كل حين، فالمؤمن كلما قال (لا إله إلا الله) صعدت إلى السماء ثم جاء خيرها ومنفعتها، والكافر لا يقبل عمله ولا يصعد إلى الله تعالى لأنه ليس له أصل في الأرض ثابت ولا فرع في السماء"(٤٠) .

أقول يستفاد من هذا المثل أن الكلمة الطيبة ثابتة الأصل نامية باستمرار مثمرة في كل حين فكلمة الحق والخير والاصلاح التي يقولها المؤمن يبتغي بها رضوان الله ويرجو ثوابه تنمو عند الله،أما أصلها الثابت فإيمان صاحبها وإخلاصه لله، وأما فروعها الممتدة في السماء، فبلوغها مستوى القبول عند الله.وأما ثمرها: فما تقدمه من أجر لباذلها.

وفي مقابل الكلمة الطيبة تأتي الكلمة الخبيثة الضارة المؤذية فمثلها كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض فليس لها قرار تثبت فيه وتستمد منه حتى يكون لها نماء أو نفع. فهي: خبيثة وضارة ومؤذية للخلق، وهي ليس لها فروع نامية في السماء حتى تنفع في ظل أو حطب،وليس بها أكل يستفيد منه الإنسان أو الحيوان وليس لها جذور حتى تمدها بقوى النماء إنها الكلمة التي تؤذي السامع وتفسد المجتمع الذي تقع فيه فهي بمثابة الشوك يؤذي السائرين(٤١).

وفي مجال التحذير من الرذيلة يقول المولى عز وجل﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾(٤٢) .

فالآية بدأت بالتحذير من الظن والتجسس ثم ضرب الله مثلا لمن يغتاب أخاه المؤمن بمن يأكل لحم أخيه ميتا وقد جاء هذا المثال على سبيل الاستفهام التقريري حيث شبه تمزيق عِرْضِ الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت، ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه عن

وتقديم الباطل على الحق وعما يتهم عنه بعدما أبصروه بقولـــه: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَـاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (٧٥) .

أي حال أصحاب الباطل الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال كحال من كان في بحر لجيّ لا ساحل له وقـد غشيه موج ومن فوق ذلك الموج موج ومن فوقه سحاب مظلم فهو في ظلمة البحر وظلمة الموج، وظلمة السحاب، وهذا نظير ما هو فيه مـن الظلمات التي لم يخرجه الله منها إلى نور الإيمان.

وقد أشار ابن قيم الجوزية إلى أن هذا المثال لأصحاب العلـم الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة، وكلاهما مضاد للهدى ودين الحـق ولهذا مثّل حالهم في تلاطم أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسـدة في قلوبهم بتلاطم أمواج البحر فيه، وأنها أمواج متراكمة مـن فوقـها سحاب مظلم وهكذا أمواج الشكوك والشبه في قلوبهم المظلمة التي قـد تراكمت عليها سحب الغي والهوى والباطل(٧٦) .

وفي المقابل نجد أن المولى قد صوّر لنا الإسلام وشريعته بـالنور وبيّن لنا حال أتباعه المنعم عليهم فيقـول: ﴿ اَللَّـهُ نُورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَـةٍ الزُّجَاجَـةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَـادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَـنْ يَشَـاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٧) .

في الآية مثل أحد أجزائه المشكاة والمصباح والزجاجة:

والمشكاة: هي الكوة غير النافذة في الجدار.

والمصباح: هو السراج.

والزجاجة: هي القنديل الذي يحوى السراج المنير.

هذه الأشياء الثلاثة في المثل تقابل في الإنسان المؤمن ثلاثة أشياء جسده، وقلبه، والنور الموجود في القلب.

فالجسد: يقابله المشكاة.

والقلب: يقابله الزجاجة.

والنور: يقابله السراج الموجود في قلب الزجاجة.

يقول ابن كثير" مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة، فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن لما هو مفطور عليه بالقناديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستمد من القرآن. وشبه الشرع : بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف(٧٨) .

وقد جاء هذا المثل القرآني على خمس مراحل:

المرحلة الأولى من المثل: الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح.

فالله نور السموات والأرض بمعنى أنه هاديهما فلا هداية في السموات والأرض إلا بنوره جلّ جلاله وهنا تظهر عظمة هداية الله للناس.

المرحلة الثانية من المثل: هذه الزجاجة التي تحتوي المصباح والتي تمثل القلب الذي يحتوي على الإيمان فيشبه في شدة نوره الكوكب المضيء الذي يشبه الدرّ لفرط ضيائه وصفائه.

المرحلة الثالثة من المثل: هذا المصباح في الزجاجة من أين يوقد، وكيف يستمد نوره ومن أين ... إنه من شجرة مباركة كثيرة المنافع زيتونة لا شرقية ولا غربية.

قال النسفي في تفسيره:"يعني أنها ليست من المشرق ولا من المغرب بل الوسط منهما،والمراد بالزيتونة هنا شريعة الله"(٧٩) .

وقد شبه المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف وشبه الشرع: بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل.

فالزيتونة إذن هي شريعة الله وهي لا شرقية ولا غربية بل هي ربانية خالصة،ونحن في هذا العصر ندرك معنى كون شريعة الله لا شرقية ولا غربية بشكل أوسع مما كان السابقون يدركونه بعد أن أصبح الشرق عَلَماً على الشيوعيين والغرب عَلَماً على الرأسماليين.

المرحلة الرابعة من المثل: هي الشجرة المباركة التي يستمد منها القلب نوره، وهي شريعة الإسلام المباركة كم هو عظيم نورها،يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار؛ وقد وصف الزيت بالصفاء والوميض وإنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار فما أعظم نورانية هذه الشريعة التي تمدّ القلب بالإيمان.

والمرحلة الخامسة من المثل: نور على نور: نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا ولا يضيء واحد بغير صاحبه وكذلك نور

القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه، ما أعظم نور هـذا القلب الذي يستمد نوارنيته من شريعة الله.

ففي هذا المثال إشارة إلى أهمية العمل بشريعة الله فهي تمدّ القلب بنور الإيمان، والعمل بالقرآن هو المدد الدائم للقلب الذي به يبقى سراج القلب مشتعلا وبه يبقى الإنسان مهتديا وبقدر ما يعمل الإنسان بهذا القرآن يزداد نور قلبه اجتماعاً وإضاءة(٨٠) .

وفي **سورة الزمر** ضرب لنا مثلا في بيان حسن التوحيد وقبح الاشراك بالله فقال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (٨١) .

فقد اشتملت الآية على تصوير المشرك بمثل عبد اشترك فيه ملاك سيئو الأخلاق بينهم اختلاف وتنازع يتجاذبونه في حوائجهم هذا يأمره بأمر وذاك يأمره بمخالفته وهو متحيّر موزّع القلب لايدري من يرضي.

وصور التوحيد: بعبد آخر لا يملكه إلا شخص واحد حسن الأخلاق فهو عبد مملوك لسيد واحد يخدمه بإخلاص ويتفانى بخدمته ولا يلقى من سيده إلا إحسانا.

﴿ **هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً** ﴾: أي هل يستوي هذا وهذا في حسن الحال وراحة البال؟ فكذلك لا يتساوى المؤمن الموحّد مع المشرك الذي يعبد آلهة شتى(٨٢) .

٢- التحذير من النفاق وبيان حال المنافقين:

قد يحتاج الداعية إلى بيان فضل الإيمان والتحذير من النفاق والالتواء فيجد قول الله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (٨٣).

فبعد أن ذكر الله صفات المنافقين من الكذب والخداع والمكر والسفه والاستهزاء والإفساد في الأرض، والجهل والضلال والتذبذب والسخرية بالمؤمنين وبعد دعوتهم إلى الإيمان الخالص المستقيم وإعراضهم عن الدعوة ورفضهم الاستسلام لله ورسوله وقولهم ﴿ **أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** ﴾ وإتيان الرد الإلهي الحاسم عليهم ﴿ **أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾، يضرب المولى مثلين للمنافقين بحسب حالهم:

الأول مثلا ناريا، والثاني مثلا مائيا، لما في النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة وقد جعل الله الوحي الذي أنزل من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ولهذا أسماه روحا ونورا وجعل قابلية الحياة في النور(٨٤)

ففي المثال الأول: وهو الناري ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾

مثّل حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له ويتنفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاؤا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طفئ عنهم وذهب الله بنورهم و لم يقل بنارهم فإن النار فيها الاضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، ﴿ **وَتَرَكَهُمْ فِيْ ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُوْنَ** ﴾ (٨٥) .

فهذا مثال من أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر، ودخل في الإسلام ثم رجع ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَهُمْ لاَ يَرْجِعُوْنَ** ﴾ فالله تعالى تركهم في ظلمات الشك والشرك لا يهتدون إلى طريق الخير ولا يعرفون طريق النجاة عطلوا حواسهم وأهملوها فهم لا يرجعون عمّا هم فيه من الغي والضلال.

المثال الثاني: وهو المائي ﴿ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ ﴾

فشبه حال المنافقين بأصحاب المطر الذي ينزل من السماء وهو يحمل معه الظلمات والرعد والبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق فحالهم في هذا كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وجبنه جعل أصبعيه في أذنيه وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه(٨٦) .

أقول: هذا المثال يصور لنا حركة التيه والاضطراب والقلق التي يعيش فيها المنافقون فهم في غاية التحير بين المؤمنين والكافرين فإذا

صادفوا لمعة البرق انتهزوها فخطوا خطوات يسيره، وإذا ذهب لمعانه وقفوا عن السير وثبتوا في مكانهم خشية التردّي، وهذا التشبيه في غاية البلاغة لأن المنافقين اكتسبوا بإيمانهم نورا ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا هذا النور ووقعوا في حيرة عظيمة خسروا فيها أبد الآبدين. وفي سورة المنافقين يصف لنا هذه الفئة بأنهم ذوو أجسام مهيبة تعجب الناظرين وأنهم ذوو ألسنة فصيحة وكلام يعجب السامعين كما أنهم يجلسون في مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتحدّث أو يخطب أو يرتل القرآن لكنهم لا يفقهون ممّا يقول شيئا لأنهم منصرفون لعدم إيمانهم بما يقول فشبههم الله بالخشب المسنّدة على الجدر. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ (٨٧). فهي ذات منظر وهيكل عظيم رفيع القامة لكنها فاقدة الحياة لا تسمع ولا تبصر ولا تعي شيئا، وهم ذوو منظر معجب وهيكل عظيم رفيع القامة بين الناس لكنهم أجساد فقط خالية من روح الإيمان.

مثال الإنفاق في سبيل الله والإنفاق في سبيل الشيطان:

إذا أراد الداعية أن يحضّ الناس على الإنفاق في سبيل الله ويبيّن لهم أجر المنفقين ويحذرهم الإنفاق في سبيل الشيطان ذكرهم بقول الله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾.

وقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾.

وضرب مثلا آخر للانفاق في سبيل الله فقال: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٨٨).

أما الآية الأولى:

فقد اشتملت على مَثَلٍ للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وقد عرضت هذا المثال بصورة من صور الحياة النامية المعطية وهي صورة الزرع هبة الله للإنسان، الزرع الذي يعطي أضعاف ما يأخذه ويهب غلاته مضاعفة بالقياس إلى بذره، تعرض هذه الصورة مثالا للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله فالحبّة تضاعف إلى سبعمائة حبّة والحسنة تضاعف إلى عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله.

والهدف من هذا المثال الاتجاه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء فهو لا يعطي بل يأخذ وأنه لا ينقص بل يزاد(٨٩).

والغرض منه: بيان حقيقة مضاعفة ثواب المنفقين في سبيل الله وإثارة محور الطمع بفضل الله في نفس المخاطبين.

وفي الآية الثانية:

حذر المولى من الرياء وبيّن لنا بأن حال الذي يمنّ في صدقته كحال الذي يرائي فالأوّل بطلت صدقته بالمنّ والأذى، والثاني بطلت صدقته بالرياء.

فصور حال المرائي في إنفاقه كمثال الحجر الأملس الذي عليه شيء من التراب يظنه الظان أرضا طيبة منبتة، فإذا سقط عليه المطر الشديد أذهب عنه التراب فيبقى صلدا أملس ليس عليه شيء من الغبار أصلا فكذلك حال المرائي، فالمن والأذى والرياء تكشف عنه النية في الآخرة فتبطل الصدقة كما يكشف المطر عن الحجر الأملس.

ثم ضرب الله تعالى مثلا آخر للمؤمن الذي ينفق ماله ابتغاء مرضات الله وتصديقا بلقائه بأن مثله كمثل بستان كثير الشجر بمكان مرتفع من الأرض أصابها مطر غزير فأخرجت ثمارها مضاعفة فإذا لم ينزل عليها المطر الغزير اكتفت بالمطر القليل لحسن تربتها وكرم منبتها فهي تنتج على كل حال.

وفي الآية الثالثة:

اشتملت على التحريض على الإخلاص لله فضرب الله مثلا لهؤلاء بزارع عاقل زرع جنّة كثيفة الأشجار بربوة مرتفعة من الأرض خصبة التربة لا تجرفها السيول أصابها مطر من السماء فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وَابِل كفاها المطر الخفيف، ثم ختم الآية بقوله ﴿ **وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ** ﴾.

يقول عبدالرحمن حنبكه: " وفي هذا تلميح إلى واقع حال المنفقين فمنهم من يستحق فيضا من رحمة الله وأجره وهذا يماثله الوَابل من المطر، ومنهم من يستحق عطاء يماثله الطَّلُّ من المطر فالوَابل والطَّلُّ صورتان لعطاء السماء تقابلان التفاوت في أجر المنفقين إذ الأجر على قدر الإخلاص(٩٠) .

ولما ضرب الله مثلا للإنفاق الطيّب وبيّن أجر المنفق، ذكر لنا مثلا للكسب الخبيث، وهو الربا ليظهر الفارق بين الكسبين. قال تعالى: ﴿ **اَلَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِيْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوْا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُوْنَ** ﴾ (٩١) .

يصوّر لنا هذا المثل عقاب الذي يرفض حكم الله في تحريم الربا ويعترض على التحريم بقوله: إنما البيع مثل الربا، مع أن حقيقة البيع تختلف عن حقيقة الربا فالربا يقوم على الظلم والاستغلال ويمنع العطف والرحمة لذلك جاءت صورة العقاب مناسبة لحالهم فالغنى سلبهم عاطفتهم الإنسانية وجعل أفكارهم ونفوسهم مضطربة دائمة التطلّع لجمع المال وزيادته من جهد الآخرين فضرب الله لهم مثلا بصورة المجنون ذي الحركات المضطربة في جنون ثائر يمشي ويتعثر هذا في الدنيا، وأما في الآخرة عندما يقومون من قبورهم يقومون كما يقوم المصروع وهي سمة لهم يعرفون بها عند الموقف(٩٢) .

التحذير من المعاصي وبيان شؤمها على الناس:

إن المعاصي بريد الكفر وارتكابها فجور يدل على موت القلب وقذارة لا تليق بالإنسان صاحب الهمّة وضررها يعود على الناس في العاجل فإذا أراد الداعية تحذير المدعوين من المعاصي ضرب لهم أمثلة متعدّدة من قصص الأولين أبان فيها سنّة الله في معاملة عبادة ومجازاتهم بالثواب أو بالعقاب ليحرّض طمع الطامعين بفضله حتى يؤمنوا ويسلموا ويعملوا صالحا وليثير خوف الخائفين من عدله حتى يجتنبوا ما يسخطه سبحانه من عقيدة أو نيّة أو عمل وإليك بعض هذه الأمثال.

قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ (٩٣).

فالآية تحكي لنا قصة قرية من القرى كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله وكذّبت رسوله فبعث الله عليهم جوعا" عاما" وخوفا شاملا" كانا عليها كاللباس الشامل عقوبة لها وإنذارا وعظة وذكرى لمن شاء أن يتذكر.

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وعلى كل حال فيجب على كل عاقل أن يعتبر بهذا المثل والإ يقابل نعم الله بالكفر والطغيان، لئلا يحلّ به ما حلّ بهذه القرية المذكورة ولكن الأمثال لايعقلها عن الله إلا من أعطاه الله علما" لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴾ (٩٤).

وقد أكد الله سنّته هذه بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ وقوله ﴿ وَمَآ أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوْا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٩٥).

ومنها أيضا ما ورد في سورة الكهف(٩٦) .

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا. كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا. وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً. لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلآ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا" ... إلخ﴾ (٩٧) .

اشتمل هذا المثل على قصة رجلين من الأمم السابقة:

الأول منهما: كان مؤمنا بالله وباليوم الآخر.

والثاني منهما: كان كافرا بربّه منكرا للبعث.

وقد أعطى الله الكافر أموالا كثيرة وأولادا وجعل له جنتين من أعناب محفوفتين بنخل بينهما زرع يجري خلالهما نهر يستقيهما تؤتيان ثمرهما كاملا غير ناقص. وفي سنة من سنوات الانتاج التقى الرجلان وصار الكافر يفتخر على المؤمن بكثرة الأموال والأولاد، وأشار إلى أن طريق الكفر هي سبب الغنى وأن طريق الإيمان هي سبب الفقر. ثم أخذ الكافر بيد المؤمن وأدخله جنته وأظهر له ما فيها من

الخيرات وقال له ما أظن أن تبيد هذه أبدا" لأنها محصنة ومنيعة ثم تمادى الكافر في غروره فأنكر الساعة فقال: ما أظن الساعة قآئمة ثم تمادي في غروره فزعم أن الغنى جاءه لجدارة فيه، وقال له وعلى فرض الرجوع في الآخرة فإن ربّيْ سيعطيني جنّة خيرا منها لاستحقاقي ذلك فأجابه المؤمن بأسلوب الاستفهام الإنكاري، ﴿ **أَكَفَرْتَ بِالَّذِيْ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴾ أي أرشده إلى دلائل الإيمان بأنه كان ترابا ثم كان نطفة مهينة ولولا أنْ سواه الله رجلا تام الصفات لبقي ترابا أو نطفة مستقذرة.

وبعد هذا أعلن المؤمن عقيدته لهذا الكافر فقال: ﴿ **لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّيْ وَلآ أُشْرِكُ بِرَبِّيْ أَحَداً** ﴾ وقدم المؤمن النصيحة لهذا الكافر ووجه نظره إلى الآخرة وما فيها من أجر للطائع وعقاب للعاصي، وبيّن له أن العقاب قد يكون في الدنيا قبل الآخرة من أجل أن يصرف عن الكافر غروره.

وأخيرا عاقب الله هذا الكافر بجنتيه فأرسل عليهما حسبانا من السماء أتلف ثمرهما فأصبح يقلّب كفيه ندامة على ما أنفقه فيهما وصار يقول ﴿ **يَا لَيْتَنِيْ لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيْ أَحَداً** ﴾ لقد أثرت فيه موعظة العقاب، و لم تؤثر فيه موعظة الخطاب.

مثال الحياة الدنيا:

من المهلكات العظيمة حب الدنيا وإرادتها وشدّة الحرص عليها والرغبة فيها؛ ومن أحب الدنيا، وحرص عليها، وعظمت رغبته فيها فقد تعرض لخطر شديد؛ فالزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن،

والرغبة في الدنيا تكثر الهمّ والحزن فإذا أراد الداعية تحذير المدعوين من التكالب على الدنيا بيّن لهم حقيقتها وأنّها دار الزوال وليست دار الخلود.

فضرب لهم مثلا يؤيد كلامه بقول الله تعالى في سورة يونس: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (٩٨).

وفي سورة الكهف: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** ﴾ (٩٩).

وفي سورة الحديد: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ (١٠٠).

هذه الأمثلة القرآنية تبيّن لنا صفة الدنيا وحالها العجيبة في فنائها وزوالها وذهاب نعيمها واغترار الناس بها كمثل الأرض التي نزل عليها المطر فنبت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض، وتزينت الحياة به وتجملت كأنها عروس مجلوة تتزين لعرس وتتبرج وأهلها

مزهوون بها، يظنون أنّها بجهدهم ازدهرت وبإرادتهم تزينت وأنهم أصحاب الأمر فيها، لا يغيرها عليهم مغيّر، ولاينازعهم فيها منازع، وفي وسط هذه النشوة وهذا الفرح وفي غمرة الاطمئنان ﴿ **أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس** ﴾. في ومضة واحدة زال نعيمها، وأصابتها الآفة نباتها فأصبحت كأن لم تكن من قبل فخاب ظن طالبها منها، وأصبحت يداه صفراً منها: هذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس ويضيعون الآخرة كلها لينالوا منها بعض المتاع "وهذه هي حال الواثق بها" وقد ضرب الله تعالى هذا المثل لقوم يتفكّرون فيعتبرون بهذه الأمثال[١٠١].

وهذا من أبلغ التشبيه، ولّما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات، والجنة سليمة منها قال الله تعالى: ﴿ **وَاللهُ يَدْعُوْ إِلَى دَارَ السَّلاَمِ** ﴾ فسماها دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا وقد عمّم الدعوة إليها. وخص بالهداية من يشاء فذلك عدل الله وهذا فضله.

مثال الحق والباطل:

وضرب الله مثلا للصراع بين الحق والباطل وللصراع بين أنصار الحق ودعاته وجنود الباطل ودعاته ولنتيجة كل من الفريقين وعاقبته: بحالة الصراع بين ماء السيل الغامر وأكوام الزبد المتناثر، وبحالة الصراع بين المعادن المنصهرة وزبدها الذي يتميز عن جوهرها ثم يطرح عنها فيذهب جفاء وبالنتيجة التي تتحصل بعد هذا الصراع، وهي أن الزبد المخالط المصارع للجوهر النافع يذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس

من الماء والمعدن فيمكث في الأرض ويدوم، وكذلك الحق مهما صارعه الباطل فالباطل إلى اضمحلال وزوال والحق إلى دوام وثبات واستقرار وكذلك أصحاب الحق وأصحاب الباطل فأصحاب الباطل إلى زوال وأصحاب الحق إلى ثبات واستقرار(١٠٢) .

قال تعالى: ﴿ **أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ** ﴾ (١٠٣) .

ويلاحظ من هذا النص اشتماله على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفنائه.

الأول منهما: مثال مائي وهو: ﴿ **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَسَالَتْ** ﴾ يحمل مشهدا حيا من مشاهد الكون يدرك بالحسّ مثل به صراع معنوي وهو الحق والباطل والإيمان والكفر، فمثل الحق في ثباته، والباطل في اضمحلاله مثل الماء الذي أنزله الله من السماء إلى الأرض فسال في الأودية الصغيرة والكبيرة كل بقدره فاحتمل السيل زبدا عاليا منتفخا على وجه الماء الجاري.

فالحق هو الماء السارب الباقي الذي يمكث في الأرض فتنتفع به، وأما الزبد المنتفخ على وجه الماء الذي لا ينفع به فهو الباطل. فمثال الحق في ثباته واستقراره كمثل الماء الصافي الذي يستقر في الأرض

فينتفع منه الناس. ومثل الباطل في زواله واضمحلاله كمثل الزبد والغثاء الذي يطفوا على وجه الماء يتلاشى ويضمحل.

والثاني منهما: مثال ناري" وممّا يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله يلاحظه أصحاب الصناعات المعدنية داخل مصانعهم يمثّل صراع الحق مع الباطل فمثال الحق كمثال المعدن الخالص من الذهب والفضة والنحاس أو المعادن التي ينتفع بها في الزينة والأواني وأدوات الحرب حيث تبقى وتدوم، ومثال الباطل في قلة نفعه وسرعة زواله كمثال الزبد وهو الخبث الذي يطفوا على وجه هذه المعادن عندما توضع على النار فتميزه النار وتخرجه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيرمي ويطرح ويذهب جفاء"(١٠٤) .

فهذا مثل الحق في ثباته وإفادته، وهذا مثل الباطل في اضمحلاله وزواله ليعتبر الناس ويتعظوا.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في ظلاله: " ثم تمضي مع السياق يضرب مثلا للحق والباطل، للدعوة الباقية والدعوة الذاهبة مع الريح، إنّ الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلمّ في طريقه غثاء يطفو على وجهه في صورة الزبد، وهو نافش راب منتفخ ولكنه بعد غثاء، والماء من تحته سارب ساكن هادىء ولكنه هو الملء الذي يحمل الخير والحياة، كذلك يقع في المعادن التي تذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة أو آنية كالحديد والرصاص، فإن الخبث يطفوا ولكنه بعد خبث يذهب المعدن في نقاء، ذلك مثل الحق والباطل، فالباطل يطفوا ويعلو ويبدو رابيا منتفخا ولا يلبث أن يذهب جفاء

مطروحا لا حقيقة له ولا تماسك والحق يظل هادئا ساكنا ولكنه البلقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الصريح(١٠٥) .

مثال بيان قدرة الله على البعث وإعادة الأجسام بعد موتها وفنائها:

وإذا أراد الداعية أن يقيم الحجة والبرهان للإنسان الذي يخاصم ربه وينكر قدرته ويكذب بالبعث والنشور أقام له الدليل وبيّن له بأنه الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث.

قال تعالى في سورة يسن: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (١٠٦) .

قال المفسرون: نزلت في (أبي بن خلف) جاء بعظم رميم، وفتته في وجه النبي الكريم وقال ساخرا " أتزعم يا محمد أن الله يحيينا بعد أن نصبح رفاتا مثل هذا؟ فقال صلى الله عليه وسلم له: نعم يبعثك ويدخلك النار"(١٠٧) .

وفي هذا المثل القرآني أقام الله الدليل على قدرته على بعث الأجساد بعد فنائها فهو الذي أوجدها أول مرة من غير شيء فالذي قدر على البداءة قادر على الإعادة: فالله يعلم كيف يخلق ويبدع، فلا

يصعب عليه بعث الأجساد بعد الفناء. فهو الذي جعل بقدرته من الشجر الأخضر ناراً تحرق الشجر فلا يمتنع عليه فعل ما أراد ولا يعجزه إحياء العظام البالية وإعادتها خلقا جديداً أو ليس الله تعالى خلق آدم من العدم وخلق حواء من ضلع آدم وخلق عيسى من أنثى دون ذكر وخلق الإنسان من ذكر وأنثى فقانون الخلق متكامل عند الله وهو على كل شيء قدير وصدق الله إذ يقول: ﴿ **كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ (١٠٨) .

ويقول تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (١٠٩) .

قال أبو حيان:

ذكر تعالى لهم ما هو أغرب من خلق الإنسان من النطفة وهو إبراز الشيء من ضده، وذلك أبدع شيء وهو اقتداح النار من الشيء الأخضر، ألا ترى الماء يطفئ النار ومع ذلك خرجت ممّا هو مشتمل على الماء، والأعراب توري النار من المرخ والعفار وفي أمثالهم " في كل شيء نار واستمجد المرخ والعِفار"(١١٠) .

وقد ختم الله تعالى هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿ **أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ** ﴾ أي أو ليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنها قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها.

ثم قال: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي لا يصعب عليه شيء لأن أمره بين الكاف والنون فمتى أراد تعالى شيئا وجد بدون تعب ولا جهد.

ثم قال: ﴿ فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أي تنزّه وتمجّد عن صفات النقص الإله العظيم الجليل الذي بيده الملك والقدرة التامة على كل شيء.

أقول: هذا المثال قد تضمن حجة برهانية ومثلا واقعيا على قدرة الخالق على إعادة الخلق بعد فنائه لأن من قدر على ابتداء الخلق لابد أن يكون قادرا على إعادته لاستواء البدء والإعادة في الواقع بالنسبة إلى قدرة الخالق القادر الذي خلق كل شيء وأمره بين الكاف والنون.

مثال الخلق:

ويصور المثل القرآني رداً مفحما على النصارى الذين ادّعوا أن عيسى عليه السلام لا يساويه شخص آخر لكونه وجد من غير أب وبالغوا في هذا الإنكار حتى أنكروا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وتمسّكوا بنبوّة عيسى وأوصلوه إلى مرتبة الألوهية قال تعالى رادا عليهم: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ. ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(١١١) .

هذا المثل تضمن حجة قياسية وفي هذه الحجة رد على الذين افتتنوا بخلق عيسى لكونه ولد من غير أب، وزعموا أن معنى كونه ولد بكلمة من الله وكونه من روح الله أن الله تعالى حلّ في أمّه وأن كلمة

الله تجسدت فيه فصار إلها وإنسانا فضرب الله للمفتونين مَثَلَ خلق آدم من تراب وهو حجة على اليهود والنصارى ولاشك أن خلق آدم أعجب من خلق عيسى لأن عيسى خلق من حيوان من نوعه وآدم خلق من تراب وهو ليس من نوعه.

وقد تضمن هذا المثل إرشاد للعباد إلى أن أمر الخليقة يشبه بعضه بعضا فكله غريب بالنسبة للبشر ولكنه ليس بغريب عند المبدع الموجد فشبه عيسى وصفته في خلق الله إياه على غير مثال سبق حيث خلقه من غير أب كشأن آدم في ذلك خلقه من غير أبٍ ولا أمٍّ ثم قال له كن فكان، فليس أمر عيسى بأعجب من أمر آدم. ﴿ **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ أي الشاكين(١١٢) .

ثم نقول للنصارى إذا كانت شبهتكم في عيسى عليه السلام تستند الى أنه جاء من أم بلا أب فإن آدم أحرى بذلك منه فقد خلقه الله من التراب مباشرة من غير أب ولا أم وإذ يوافق النصارى على أن هذا في آدم باطل فحجتهم في عيسى أشد بطلانا لأن وجودها في عيسى أضعف من وجودها في آدم(١١٣) .

مثال الذي ينتفع بكتاب الله والذي لا ينتفع به:

وصف الله تعالى القرآن بأنه نور والنور من طبيعته أن يضيء ويهدي. قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا** ﴾(١١٤) .كما وصفه بأنه روح والروح من طبيعته أن يحرك ويحي﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا** ﴾(١١٥) .

ولكن بعض القلوب لاتنتفع بكتاب الله فضرب لهم مثلا ليعتبروا حتى لا يكونوا أمثال من سبقهم ممّن نسوا كتابهم وأهملوا العمل به. قال تعال: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾(١١٦) .

فقد ضرب الله لليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة فأهملوها مثلا بالحمار يحمل الكتب الضخمة النافعة الملأى بالعلم ولا يستفيد بها. فهو يحملها حملا حسيا لا يدري ما عليه..

وكذلك حال كل الذين حمّلوا أمانة العقيدة ثمّ لم يحملوها من المسلمين وغيرهم وبخاصة أولئك الذين يقرأون القرآن، ولا ينهضون بأحكامه أولئك حالهم كحال اليهود سواء بسواء كالحمار يحمل أسفارا، فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس إنّما هي مسألة فقه وعمل بما في الكتب(١١٧) .

يقول ابن القيم فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو يتناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به و لم يؤد حقه و لم يرعه حق رعايته.

وضرب لنا مثلا آخر بيّن فيه حال من أعرض عن كلام الله وتدبره فقال ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ** ﴾ (١١٨). فشبه من أعرض عن القرآن وأحكامه بحمر رأت الأسد أو الرماة ففرت منه ، فقد شبه القوم في جهلهم بالرسالة المحمدية كالحمر وهي لا تعقل شيئا فإذا سمعت صوت الأسد أو الرماة

نفرت منه أشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء فإنهم نفروا عن طريق الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عن ما يهلكها.

مثال وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته في التوراة والإنجيل:

قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

احتوى هذا المثل صورة تعبيرية للرسول وأصحابه في التوراة برز فيها ما يلي:

١-شدة بأسهم في قتال الكفار فهم أبطال أشداء مؤمنون مستعلون بقوتهم وبأسهم عليهم.

٢-رحمتهم العظيمة وتواضعهم فيما بينهم وهذا الوصف يلحظ فيه ما عليه المسلمون من الرحمة والتآخي فيما بينهم.

٣-كثرة عبادتهم لله سبحانه فهم ركع سجود يدعون الله أن يهبهم من فضله في الدنيا والآخرة.

وأما وصفهم في الإنجيل فقد جاء على شكل مثل تشبيهي من الزرع صور فيه نشأتهم ونماءهم وتكاثرهم وتآزرهم ووحدة جماعتهم(١١٩).

مثال الجنة ووصفها:

وإذا أراد الداعية المدعوين بالجنة بين لهم مثلها ووصفها في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِنْ مَآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾(١٢٠) .

فالمثل القرآني يبرز الجنّة في صورة حسنة جميلة نافعة حيث الأنهار والظلال والثمرة والماء المتفجر من جبل من مسك، واللبن الخالي من الحموضة والفساد والخمر التي لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون، والعسل المصفى الذي لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وأصناف الثمرات والفواكه كل هذا أعده الله للمتقين الذين يطيعون الله ويخافونه ﴿ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِيْنَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِيْنَ النَّارُ ﴾.

وفي سورة الرعد يقول المولى عز وجل: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِيْنَ النَّارُ ﴾(١٢١) .

فقد احتوى هذا المثال رسم للجنة ضمن لوحة تعبيرية قد أبرز فيها رسم أشجار الجنة ذات الثمار التي لا تتقطع، وكذلك رسم ظلها الدائم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تحل الكربات وبحوله وقوته تبلغ الدعوات. وبعد فقد تبيّن بأن المثل:

١- يعتبر من أهم وسائل الدعوة التي تؤثر في المدعوين وتجذبهم نحوها.

٢- فهو موعظة بليغة لها أثر في العقول والقلوب فهي تثير داعية النظر عند المدعوين لأنها تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد ليقف الإنسان على حقيقة الشيء.

٣- وهو وسيلة للإقناع حيث يقيم الحجة على المخاطب أو يلفت نظره إلى الحقيقة.

٤- كما أنه وسيلة لشحذ همة المدعوين وتحريك طاقاتهم الفكرية نحو الدعوة والالتزام بها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش

١- العسكري/ أبي هلال العسكري/ **جمهرة الأمثال** ط١/٤-٥ دار الجمل بيروت.

٢- الرازي/محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي/ **مختار الصحاح**/ص٦١٤ دار الكتب العلمية.

٣- سورة الرعد الآية: ٣٥.

٤- الصابوني/محمد علي الصابوني/**صفوة التفاسير**جـ٢/٨٦دار القرآن الكريم.

٥- ابن قيم الجوزية/ ابن قيم شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر/**الأمثال في القرآن** ص٣٠-٣٢ دار المعرفة.

٦- الميداني/ أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري/ **الأمثال** ط١/ تعريف المثل.

٧- رشيد رضا/ محمد رشيد رضا/**تفسير المنار** جـ١/٢٣٦ دار المعرفة بيروت.

٨- رشيد رضا/ **تفسير المنار** جـ ١/٢٣٦.

٩- سورة إبراهيم الآية: ٢٥.

١٠- سورة الزمر الآية: ٢٧.

١١- سورة العنكبوت الآية: ٤٢.

١٢- الصابوني/ **صفوة التفاسير** جـ ١/٤٦٢.

١٣- السيوطي/ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي/ **الإتقان** جـ ٤/ ٤٤ الهيئة المصرية العامة.

١٤- السيوطي/ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي/ **الإتقان** جـ٤/٤٤.

١٥- المصدر نفسه جـ ٤/٤٤.

١٦- المصدر نفسه جـ ٤/٤٥.

١٧- ابن قيم الجوزية/ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر/ **الأمثال في القرآن الكريم** ص ٣٣.

١٨- سورة العنكبوت الآية: ٤١.

١٩- حنبكة/ عبدالرحمن حنبكة الميداني/ **الأمثال القرآنية** ص ٣٩-٤٠ دار القلم/ دمشق.

٢٠- سورة آل عمران الآية: ٥٩.

٢١- سورة الجمعة الآية: ٥.

٢٢- الصابوني (**صفوة التفاسير**) جـ٣/٣٧٩، القرطبي/ أبي عبدالله محمد الأنصاري القرطبي/ **الجامع لأحكام القرآن** جـ ١٨/٩٥.

٢٣- سورة النحل الآية: ١١٢.

٢٤- الرازي/ محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمـــر/ **التفسير الكبير** جـ ٢٠/١٣٠ دار الفكر.

٢٥- الصابوني/**صفوة التفاسير** جـ٢/١٤٩.

٢٦- سورة البقرة الآية: ١٧.

٢٧- سورة البقرة الآية: ٦٨.

٢٨- الجرجاني/ الإمام عبدالقاهر الجرجاني/ **أسرار البلاغـــة** ص ٩٢-٩٣ ط/٤ دار المنار ١٩٤٠.

٢٩- سورة البقرة الآية: ٢١٤.

٣٠- قطب/ سيد قطب/ **في ظلال القرآن** جـ ١/٢١٨ دار الشروق.

٣١- سورة الحج الآية: ٧٣.

٣٢- القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** جـ ١٢/٩٧.

٣٣- سورة يس الآية: ١٣-١٧.

٣٤- سورة البقرة الآية: ٢٥٩.

٣٥- القرطبي/ **الجامع لأحكام القرآن** جـ٣/٢٩٤.

٣٦- رشيد رضا/ **تفسير المنار**/ جـ ٣/٢٩٤.

٣٧- سورة الأنبياء الآية: ١٠٤.

٣٨- سورة إبراهيم الآية: ٢٤-٢٦.

٣٩- البيضاوي/ ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بـــن محمـــد الشـــيرازي البيضاوي/ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** جـ١/٥١٨ دار الكتب العلميـــة بيروت.

٤٠- ابن الجوزي/أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد/**زاد المسير**جـ٤/٣٦٠.

٤١- ابن قيم الجوزية/ **إعلام الموقعين عن رب العـــالمين** جـــ ١/١٧١-١٧٦، حنبكة (**الأمثال القرآنية**)ص ٥٦-٥٧.

٤٢- سورة الحجرات الآية: ١٢.

٤٣- ابن قيم الجوزية/ **اعلام الموقعين** جـــ ١/١٧٠.

٤٤- سورة الكهف الآية: ٥٤.

٤٥- سورة يٰسٓ الآية: ١٣-١٨.

٤٦- سورة إبراهيم الآية: ٢٥.

٤٧- سورة الأعراف الآية: ١٧٦.

٤٨- سورة الأعراف الآية: ١٧٩.

٤٩- أبو السعود/ محمد بن محمد العمادي/ **تفسير أبي الســـعود إرشـــاد العقـــل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** جـــ ٢/٤١٣ مكتبة الحلبي وأولاده.

٥٠- سورة يونس الآية: ٢٤.

٥١- سورة الكهف الآية: ٤٥.

٥٢- ابن كثير/ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي/ **تفسير القرآن العظيم** جـــ ٢/٤١٣ دار إحياء التراث العربي.

- الصابوني/ محمد علي الصابوني/ **صفوة التفاسير** جـــ١/٥٨١.

- سيد قطب/ **في ظلال القرآن** جـــ٣/١٧٧٥ دار الشروق.

٥٣- سورة التحريم الآية: ١١.

٥٤- رشيد رضا/ السيد رشيد رضا/ **تفسير المنار** جـــ١/٢٣٦.

٥٥- سورة البقرة الآية: ١٧١.

٥٦- الصابوني/ محمد علي الصابوني/ **صفوة التفاسير** جـــ ١/١١٤.

- ابن كثير/إسماعيل بن كثير/ **تفسير القرآن العظيم** جـــ ١/٢٠٤

- البيضاوي/ ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي/ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** جـ ١/ ١٠٠ دار الكتب العلمية.

٥٧- سورة هود الآية: ٢٤.

٥٨- سورة الحج آية ٧٣-٧٤.

٥٩- القرطبي/ **الجامع لأحكام القرآن** جـ ١٢/ ٩٧.

٦٠- سورة الصافات الآية: ٩٦.

٦١- قطب/ سيد قطب/ **في ظلال القرآن** جـ ٤/ ٢١٨٣

٦٢- سورة النحل الآية: ٧٥-٧٦.

٦٣- سورة العنكبوت الآية: ٤١.

٦٤- القرطبي/ **الجامع لأحكام القرآن** جـ ١٣/ ٣٤٥.

٦٥- سورة العنكبوت الآية: ٤٣.

٦٦- سورة مريم الآية: ٨١.

٦٧- سورة يس الآية: ٧٤.

٦٨- ابن قيم الجوزية/ **أعلام الموقعين** جـ ١/ ١٥٤.

٦٩- سورة إبراهيم الآية: ١٨.

٧٠- ابن قيم الجوزية/ **أعلام الموقعين عن رب العالمين** جـ ١/ ١٧١.

٧١- سورة النور الآية: ٣٩.

٧٢- سورة آل عمران الآية: ١١٦-١١٧.

٧٣- الصابوني/ **صفوة التفاسير** جـ ٢/ ٢٤٢.

- الشنقيطي/ محمد الأمين بن محمد المختار/ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** جـ ٦/ ٢٤٢ مطابع المدني/ مصر.

٧٤- سورة الفرقان الآية: ٢٣.

٧٥- سورة النور الآية: ٤٠.

٧٦- ابن قيم الجوزية/ **أعلام الموقعين عن رب العالمين** جـ ١/١٥٨

٧٧- سورة النور الآية: ٣٥.

٧٨- ابن كثير/ **تفسير القرآن العظيم** جـ ٣/٢٩٠.

٧٩- النسفي/ عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي/ **تفسير النسفي** جـ/

٨٠- ابن كثير/ **تفسير القرآن العظيم** جـ ٣/٢٩٠-٢٩١.

- حوى/ سعيد حوى/ **تربيتنا الروحية** ص ٩٩-١٠٠ دار الكتب العربية بيروت.

٨١- سورة الزمر الآية: ٢٩.

٨٢- الصابوني/ **صفوة التفاسير** جـ ٣/٧٨.

- الرازي/ فخر الدين الرازي/ **مفاتيح الغيب** جـ ٧/٢٦١.

٨٣- سورة البقرة/ الآية: ١٧-١٩.

٨٤- ابن قيم الجوزية/ **الأمثال في القرآن الكريم** ص ١٥/ دار المعرفة تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب.

- **أعلام الموقعين عن رب العالمين** جـ ١/١٥٠ – تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

٨٥- ابن كثير/ **تفسير القرآن العظيم** جـ ١/٥٣ دار المعرفة.

- ابن قيم الجوزية/ **أعلام الموقعين عن رب العالمين** جـ ١/١٥١.

٨٦- الصابوني/ **صفوة التفاسير** جـ ١/٣٨.

- الرازي/ فخر الدين الرازي/ **التفسير الكبير** جـ ٢/٧٣.

- ابن قيم الجوزية/ **أعلام الموقعين** جـ ١/١٥١.

٨٧- سورة المنافقون الآية:٤.

٨٨- سورة البقرة الآيات ٢٦١ و٢٦٤و٢٦٥.

٨٩- سيد قطب/ **في ظلال القرآن** جـ ١/٣٠٦.

٩٠- حنبكة/ **الأمثال القرآنية** ص ٦٥.

٩١- سورة البقرة: الآية: ٢٧٥.

٩٢- الصابوني/ **صفوة التفاسير** جـ١/١٧٤.

- حنبكة/ **الأمثال القرآنية** ص ١٢٧.

٩٣- سورة النحل الآية: ١١٢.

٩٤- الشنقيطي/ محمد الامين بن محمد المختار/ **أضواء البيان** جـ٣/٣٤٣-٣٤٤.

٩٥- سورة إبراهيم الآية: ٢٨.

٩٦- سورة الشورى الآية: ٣٠.

٩٧- سورة الكهف الآية: ٣٢-٤٣.

٩٨- سورة يونس الآية: ٢٤.

٩٩- سورة الكهف الآية: ٤٥.

١٠٠- سورة الحديد الآية: ٢٠.

١٠١- قطب/ سيد قطب/ **في ظلال القرآن** جـ ٣/١٧٧٥.

- الصابوني/ محمد علي الصابوني/ **صفوة التفاسير** جـ ١/٥٨١.

- ابن قيم الجوزية/ **أعلام الموقعين** جـ ١/١٥٣.

١٠٢- حنبكة/ **الأمثال القرآنية** ص ٤٤.

١٠٣- سورة الرعد الآية: ١٧.

١٠٤- الطبري/ محمد بن جرير الطبري/ **تفسير الطبري(جامع البيان في تفسير القرآن)** جـ ١٣/١٣٤ ط١/ المطبعة الأميرية/١٣٢٧.

- ابن كثير/ **تفسير القرآن العظيم** جـ ٢/٥٠٨

- بيضاوي/ **تفسير البيضاوي** جـ ١/٥٠٤ دار الكتب العلمية.

١٠٥- قطب/ سيد قطب/ **في ظلال القرآن** جـ٤/٢٠٥٤.

١٠٦- سورة يٰسٓ الآية: ٧٧-٨٢.

١٠٧- ابن كثير/ **تفسير القرآن العظيم** جـ ٣/٥٨١.

١٠٨- سورة الأنبياء الآية: ١٠٤.

١٠٩- سورة الروم الآية: ٢٧.

١١٠- أبو حيان/ محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي/ **البحر المحيط** ٧/٣٤٨/ط١ مطبعة السعادة، القاهرة.

١١١- سورة آل عمران الآية: ٥٩-٦٠.

١١٢- رشيد رضا/ محمد رشيد رضا/ **تفسير المنار** جـ٣/٣١٩-٣٢٠.

١١٣- حبنكة/ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني/ **الأمثال القرآنية**/ ص١٣ دار القلم / بيروت.

١١٤- سورة النساء الآية: ١٧٤.

١١٥- سورة الشورى الآية: ٥٢.

١١٦- سورة الجمعة الآية: ٥.

١١٧- قطب/ سيد قطب/ **في ظلال القرآن** جـ ٦/٣٥٦٧.

- ابن كثير/ **تفسير القرآن العظيم** جـ ٤/٣٦٤.

- ابن قيم الجوزية/ **اعلام الموقعين** جـ١/١٦٥.

١١٨- سورة المدثر الآية: ٤٩-٥١.

١١٩- حبنكة/ **الأمثال القرآنية** ص ١٨-١٩.

١٢٠- سورة محمد الآية: ١٥.

سورة الرعد الآية: ٣٥.